

مراثي الأدباء أساطير الغياب

إيزابيل الليندي وإين براون.. والدان مفاجوعان

يخلف الموت آثارا عميقة لا تحمى في أرواح الناس ووجدانهم، ويختلف التأثر من شخص إلى آخر، لكن تبقى السمة المشتركة التأسف على الراحلين، ومحاولات التأسى بسبل مختلفة، تلجأ إلى استذكارهم واستحضارهم والالتفاف على الغياب عبر نسج أساطير تبقيهم حاضرين بصيغة أو بأخرى.

هيثم حسين
كاتب سوري

تاريخ الأدب، تعبّر عن الهشاشة التي تستلب الإنسان كينونته، بالموازاة مع قدرتها على تضييد جراح أصحابها الأحياء الذين يجدون فيها تعزياً ومواساة لهم، وغالبا ما يكون إضفاء صفات التعظيم على الراحلين واعتبارهم أبطالهم المميزين الذين سلبتهم الحياة إياهم، وأبقتهم حسرات في القلوب وذكريات وصوراً في الأذهان تجد طريقها إلى سطور الكتب.

أم تكل

كتب كثير من الأدباء نصوصا تستحضر أشخاصا أعزّاء على قلوبهم، وأغلب هؤلاء وثقوا بحكاياتهم وأحلامهم المحطمة ومشاعرهم الدفينة وأسرارهم المغترضة، توجّهوا بها إلى الآخر الغائب، وأبقوه قريبا بصيغة أدبية تغالب

الرحيل وتكابر على الغياب وماسيه. كتبت التشيلية إيزابيل الليندي كتابا عن ابنتها الراحلة باولا، وأسماها باسمها تخليدا لذكراها، وأشارت في بداية الكتاب إلى أنها في شهر يناير 1991 أصيبت ابنتها باولا بمرض خطير، ثم دخلت بعد قليل في غيبوبة. وقد كتبت الكتاب خلال ساعات لا حصر لها أمضتها في مررات المستشفى في مدريد وفي غرفة بفندق عاشت فيه عدة شهور، وكذلك إلى جانب سريرها في بيتها بكاليفورنيا في صيف وخريف عام 1992. تخاطب ابنتها باولا قائلة لها "اسمعي يا باولا، سأقضى عليك قضة، لكي لا تكوني ضائعة تماما عندما تستيقظين". ثم ترتحل بعد ذلك في سرد حكاية الأسرة التي تبدأ في القرن

شخصيات القصص من
المهمشين والمتروكين
والمفقودين، أطفال
وأرامل وتكالي باحثات عن
بقايا دفة في أثواب حب

النصوص التي يدونها الأدباء عن أشخاص أعزّاء على قلوبهم بعد رحيلهم، تكون مراثي إنسانية تعبّر عن عمق المحبة التي يتكونها للراجلين الذين لا يودون أن يصدقوا أنهم رحلوا، فيحيونهم عبر الكتابة، وإبقاء الحكايات عنهم مستعرة متجددة مع كل قراءة، وكأنها صيغة لمواجهة الموت بالحياة والكتابة. المراثي الأدبية تكون أساطير الغياب الحاضرة في



المراثي مشاعر دفيئة وأسرار مقترضة (لوحة للفنان سمير الصفي)

ابنه ووكر أراه ما لم يكن يريد أن يراه، وأيضا ما لم يكن يراه لولاه، كقدرته على جعل أي لحظة تمر بالمرء ذكري لا تنسى، وقدرته على تقدير أهميتها. ويؤكد أنه لا أحد منا يريد أن يكون مجنوناً، ولكن هناك أهدافا عديدة لوجود حالات الجنون في حياتنا، بوصفها طريقاً للتأمل الذاتي الصعب، ففي عالم ما قبل العلم، عصر شكسبير وسرفانتس، حين كان لكل من الفن والخيمياء والمنطق والوحي السماوي والخبرة نفس المكانة، كان الجنون كرمح مباشر في ظلام الوجود الإنساني. الإنسان الذي ولد للالم والحزن، فقط ليواجه الموت.

يقول إنه يواصل الحديث إلى الفضاء الأسود الذي به تقط بضعاء، وأنه يواصل الحديث إلى ووكر، وبالطبع ليس ووكر وحده من بحاجة إلى مواصلة السماع إليه وهو يتكلم، فهو نفسه الذي يحتاج إلى مواصلة الحديث إلى ووكر، ويخشى مما سيحدث إذا توقف عن ذلك. وبعد، من اللافت أن الرثاء يبقى من الأغراض الأدبية المتجددة عبر العصور، لأنه يعبر عن مشاعر إنسانية عميقة في كل زمان ومكان، كما أنه يمثل نقطة تحفظ للتراث جزءاً من توازنه الذي يتعرّض للاهتزاز حين يفقد الشخص العزيز على قلبه وروحه، والذي يظل حاضراً معه في حله وترحاله، فينقل حكاياته وتفاصيله وذكرياته معه إلى الورق لتكون المرثاة المؤسّرة له والمثلقة على قسوة الموت بالكتابة.

بابنه يضغط عليه ويرعبه. يكتشف فيه أحيانا أمورا وعادات جديدة. وتكون الأدوية التي يتعاطاها مؤثرة عليه بشكل كبير. يصف ملامح وجهه وجسده، يقول بأنه يشبه جسد لاعب ملاكمة كبير السن، مربع، يشبه العلبة التي يشتري فيها القمصين، عندما تكون في وضع قائم، وعلب ذراعيه، الأنايب المصنوعة من مادة صلبة تمنعه من ثني مرفقيه، حتى لا يحدث جروحاً رهيبية بالمنطقة العلوية في جمجمته طوال اليوم، تمنعه من تقوية عضلات أعلى الذراع، ولكن لديه عضلات قوية في ساعديه.

يقول إنه ما زال يتذكر حين كان ووكر طفلاً صغيراً، اقترحت أم ووكر فكرة أن يضعوا سللة العباب في كل دور من أدوار المنزل، وكان رأيهم أنها فكرة عبقرية، وظن أنهم حلوا المشكلة، ولكن بعد مرور كل تلك السنوات ما زالت هناك أمامه كما هي، مكسدة وكاملة تماماً مقلبه في الغالب. يقر بأنه تولدت لديه قناعة كبيرة بأن محاولتهم لتصوير كائن كامل من أجزاء جسمه غير مكتملة النمو هو عمل من أعمال الإيمان المفرط، والذي لا يختلف عن أي عمل من أعمال شخص متطرف في حماسه، ويجد أن الأسئلة المستمرة المتعلقة بـ ووكر، عن أفعاله ومقصاده وما وراءها، كانت أيضاً نموذجاً، إطاراً يصورون به العالم البشري، وطريقة للعيش. يؤكد براون أن

الأخرى، وأنها خالدة، وتودعها بالقول "وداعاً يا باولا المرأة، أهلاً يا باولا الروح".

أب مفجوع

أما الكاتب والصحافي الكندي إين براون فإنه يتحدث في كتابه "الصبى في وجه القمر" عن معاناة ابنه المريض ووكر الذي ولد بطفرة وراثية شديدة الندرة تسمى "متلازمة القلب والوجه والجلد"، وهو اسم فني لخليل من الأعراض. وكان ابنه يعاني من تأخر عام ولا يستطيع الكلام، ويذكر أنه لا يعرف ما المشكلة التي يعاني منها، ولا أحد يعرف. كما يذكر أن هناك فقط ما يزيد قليلاً عن المئة شخص في العالم الذين يعانون من هذه المتلازمة.

يرتحل براون المفجوع برحيل ابنه في مجاله النفس البشرية، يكشف عن المشاعر الكامنة في نفس الأب تجاه ابنه المعاق، وعن نظراته للابوة والبنوة، وعن العلاقات والروابط الإنسانية التي تربط الناس ببعضهم بعضاً، وتلك التي تفصل بينهم على أساس الإعاقة أو المرض أو التشوه. يشبه براون مشاهدة ابنه ووكر بالنظر إلى القمر، يقول في ذلك "أنت ترى وجه رجل في القمر، ولكنك تدرك أنه لا يوجد أي شخص بالفعل هناك". ويستدرك مسائلاً نفسه: إذا كان ووكر لا قيمة له، فلم يحمل هذا القدر من الأهمية بالنسبة إليه؟ وما الذي يحاول أن يريه إياه؟ ويؤكد أن كل ما يريد معرفته حقاً هو ما يدور في رأسه غريب الشكل وقلبه المتعالي، ويقول إنه في كل مرة يتساءل فيها عن هذا يقنعه على نحو ما بأن يتشغل بنفسه. يقول إن كل شيء يتعلق



مسرح الكابوكي الياباني يخفض مقاعده ويستأنف نشاطه في تحد للجائحة

طوكيو - استأنف مسرح الكابوكي التقليدي الياباني عروضه بعد توقف استمر خمسة أشهر بسبب تفشي فيروس كورونا المستجد، حيث وضع الموسيقيون الكمامات وتباعدهم الممثلون على خشبة المسرح واقتصر عدد المتفرجين على نصف المسوح به عادة.

ويأتي إعادة فتح المسرح الياباني الشهير الذي يقدم مسرحيات الكابوكي في طوكيو، بعد توقف العروض منذ مارس الماضي على الرغم من زيادة حالات الإصابة الجديدة بكورونا بمستويات قياسية في أنحاء اليابان. وقال يوشيتاكا هاشيموتو مدير المسرح "فتحت أبوابنا مجدداً استناداً إلى توجيهات خبراء مكافحة الأمراض العديدة ونراعي سلامة المتفرجين من لحظة دخولهم حتى وقت المغادرة". وأصبح أعداد الموسيقيين محدودة مع التزامهم وضع كمامات من القماش

إعادة فتح المسرح تأتي بعد توقف العروض منذ مارس الماضي، على الرغم من زيادة حالات الإصابات بكورونا في اليابان

التقليدية مع الأذواق العصرية، ويُعتبر الكابوكي اليوم من أشهر أساليب الدراما اليابانية التقليدية. وقالت شيكاكي ساكوراوي (46 عاماً)، وهي يابانية اعتادت حضور مسرحيات الكابوكي مرتين أو ثلاث مرات في الشهر، إنها تشعر بالامتنان والحماس. وأضافت "أحسن أنني عدت إلى الحياة أخيراً". وتوفي نحو ألف شخص في اليابان بسبب وباء كوفيد - 19 الناجم عن الإصابة بفيروس كورونا.

ومن الاختصاصات الأخرى لمسرح كابوكي جسر المشاة المعروف باسم "هاناميشي" الذي يمتد حتى يبلغ الجمهور. وتتضمن مميزات مسرح الكابوكي بالموسيقى الخاصة به، والأزياء، وأدوات المسرح، وكل ما يُستعان به في الإخراج المسرحي، بالإضافة إلى المسرحيات الخاصة، واللغة، وأساليب التمثيل.

هذا بالإضافة إلى الوقفة المسرحية التي تُعرف باسم "مي" التي يتخذ فيها الممثل وقفة ما ليبرز شخصيته. ويمثل الماكياج الخاص المعروف باسم "كيشي" أسلوباً يُسهّل التعرف إلى هذا النمط من المسرح حتى من قبل الجماهير غير المعتادة عليه. وبعد عام 1868 عندما انفتحت اليابان على تأثير الغرب، دأب الممثلون على تعزيز سمعة الكابوكي في صفوف الطبقات العليا وعلى تكيف الأساليب

من الأدوات كالمسارح الدوّارة والأبواب المسحورة التي يمكن للممثلين من خلالها الظهور والاختفاء.



مسرح تقليدي لا غنى عنه في اليابان